أنواع التوحيد الثلاثة ووجوب إخلاصها

الحمد للَّه الذي أوجَب على الخَلْق طاعتَه وتوحيده، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن مُحمّداً عبده ورسوله، الذي أشاد منار الإسلام وأَحْكمَ أساسه، صلَّى اللَّه وبارَك عليه وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا توحيدهم للَّه وجاهدوا في اللَّه حقَّ جهاده، ومَن تبعهم واقتدى بهم في إخلاص العمل والتوحيد والطاعة، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى وحقِّقوا توحيدكم، وأَخْلِصوا العبادة بجميع أنواعها للَّه تعالى، فمَن أثبَت ربوبية اللَّه وإلهيته وأسماءه وصفاته على ما يليق بجلاله وعظمته كما وَرَدَ في الكتاب والسُّنَّة، وأَخْلَصَ جميع أنواع العبادة للَّه ولم يخلطها بشرك، وكان في ذلك مقتدياً برسول اللَّه ﷺ، فهو المسلم الذي له الأمن والهداية، وقد أتى بالتوحيد الواجب الذي تَبْرَأ به ذمَّته ويستحق به دخول الجنة والسلامة

من النار إن كان مؤدياً لفرائض اللَّه مجتنباً لمحارمه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]، ومَن أَتَى بالتوحيد وأتى معه بكبائر ارتكبها كتركه لبعض المفروضات أو ارتكابه لبعض المحرمات ومات من غير توبة فإنه لم يأتِ بالتوحيد الواجب الذي تَبْرأ به ذمَّته؛ بل هو على خطر عظيم من دخول النار، وهو متعرض لسخط اللَّه وعقوبته.

أيها المسلمون: ومن أنواع توحيد اللَّه: العلمُ والإقرار بأن اللَّه ربُّ كل شيءٍ ومليكهُ وخالقهُ ومدبرهُ ومُصَرِّفه وأنه الرازق المحيي المميت النافع الضار، وذلك توحيد اللَّه بأفعاله، وهو المسمَّى بتوحيد الربوبية، وهذا النوع قد أقرَّ به الكفار في عهد النبي ﷺ كما دل على ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [العنكبوت: ٦١] ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يُونس: ٣١]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

ومن أنواع التوحيد: الإيمان بما وَصَفَ اللَّه به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على الحقيقة من الأسماء والصفات، وعدم التعرُّض لها بشيء من التكييف أو التشبيه أو التمثيل أو التحريف أو التعطيل على حدّ قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] ويسمى هذا النوع من التوحيد: توحيد الأسماء والصفات، وكان الكفار يقرون بجنس هذا النوع كما كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، لكن إقرارهم بهذا النوع من التوحيد وحده لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم جحدوا توحيد العبادة فلم يخلصوه للَّه، بل أشركوا معه في عبادته ـ التي هي محض حقّه ـ غيرَه، ولهذا قاتلهم رسول اللَّه ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم مع إقرارهم بربوبية اللَّه؛ فمن لم يُقر بوحدانيته ﷻ أو

جَحْد شيئاً من أسمائه أو صفاته فقد بدَّل الدين وأشرك برب العالمين وهو في الدنيا ليس في عِداد المؤمنين وفي الآخرة من الخاسرين، وحرَّم اللَّه عليه الجنة وأحبط عمله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المَائدة: ٧٢].

فلابدَّ من الإخلاص للَّه في التوحيد والعبادة والطاعة، واتِّباع السُّنَّة؛ حتى يكون العمل صالحاً مقبولاً نافعاً مضاعفاً مباركاً فيه.

أيها المسلمون: كما أن بالإخلاص يعظم ثواب العمل ويبارك فيه، فإنه مع ذلك مدعاةٌ للتقدير والتعاون والحبّ والولاء، فما تحلَّت به نفسٌ أو أُمَّةٌ إلا أحبها اللَّه وأحبها الناس، واستولت بإخلاصها على القلوب وكسبت النفوس، وحلّ التعاونُ فيها محل التخاذل، والنصحُ محل الخيانة، والاجتماعُ محل الفُرقة، والعدالةُ محل الفسق.

وما تحلّت بالإخلاص أمةٌ إلا عزَّ سلطانها، وعظم شأنها وهيب جانبها، ومكّن اللَّه لها في الأرض، وبدّل خوفهم أمناً كما حصل هذا للأمة الإسلامية في أوج إخلاصها حيث تحقق فيهم وعْدُ اللَّه لهم بالتمكين في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النُّور: ٥٥].

وما فقدت الإخلاصَ أمَّةٌ إلا فقدت كل مقوِّمات حياتها المعنويَّة وانحطَّت إلى الحضيض عياذاً باللَّه لأُمَّة الإسلام من ذلك.

فاحمدوا اللَّه أيها المسلمون أن حفظ لكم هذا الدين برجاله المخلصين ـ العلماء العاملين ـ الذين هم أئمة يُقتدى بهم، وأعلام يُهتدى بهم في العلم والعمل والإخلاص، وإنَّ في وجود أمثال هؤلاء في الأُمة حفظاً لدينها وصوناً لعزَّتها وكرامتها، فهم السياجُ المتين الذي يحول بين الدين وأعدائه، والنورُ الذي تستنير به الأمة عند اشتباه الحق وخفائه، واشكروا اللَّه أن يسَّر لكم ديناً سليماً وصراطاً مستقيماً، وجعلكم

من أمة محمد ﷺ خير الأمم وأبرّها وأزكاها، وحفظ لكم دينكم حتى وصل إليكم ـ وللَّه الحمد ـ نقيًّا من البدع والإشراك وبريئاً من طريق الغيّ والهلاك بما أقام لكم من أئمة الدين والجهابذة المرشدين المخلصين.

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون: وأخلصوا أعمالكم للَّه وطهِّروها من إرادة غير اللَّه، ولا يغيب عنكم أن اللَّه تعالى مطَّلِع على السرائر والضمائر: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]، فأخلصوا له النية فيما أوجب عليكم من طاعة ما نَدبكم إليه من برٍّ؛ تفوزوا برضاه تعالى ويصرف عنكم السوء والفحشاء وتكونوا من عباده المخلصين. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

رزقني اللَّه وإياكم الإخلاص في عبادته والتحقيق لتوحيده وطاعته، وجعلنا من أهل التقوى والخشية بمنِّه وكرمه، وبارَكَ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر اللَّه لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى اللَّه وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، وأخلصوا العمل للَّه، وأخلصوا توحيدكم وطاعتكم للَّه؛ لتكونوا مؤمنين حقاً فيحصل لكم الأمن والهداية التي أخبر اللَّه عن أهلها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]، واحذروا ما يُضعفُ إيمانكم وتوحيدكم من الشرك والبدع والمعاصي، وتدبَّروا كتاب ربكم وسُنَّة نبيكم، وداووا بهما أمراض قلوبكم وحكِّموهما في كل شؤونكم؛ لتكونوا أعزَّاء في الدنيا سعداء في الآخرة.

ألا وصلُّوا على نبيكم نبيِّ الرحمة والهُدى، نبينا وسيدنا وقدوتنا محمد ﷺ، فقد أمركم اللَّه بذلك في

قــولــه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

❋ ❋ ❋